Journal Of the Iraqia University (67-2) June (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

دلالة الرمز في شعر محمود درويش

م.م انعام صالح مهدي
كلية الزراعة\جامعة ديالى

The significance of the symbol in the poetry of Mahmoud Darwish

Assistant teacher,Inaam Saleh Mahdi
anaamsalih53@gmail.com

مستخلص:

تدرس هذا الدراسة دلالة الرمز في شعر محمود درويش. ويتناول الإطار المنهجي مشكلة الدراسة وضرورة إجرائه، وأهميته، وهدف الدراسة، والتعريف بأهم المصطلحات. تناولت مشكلة الدراسة مفهوم دلالة الرمز، ومستويات عمل الرمز في الشعر للمؤلفات محمود درويش، بالإضافة إلى الكشف عن الرؤية الفنية التي جسدها الشاعر في استخدام الرمز ضمن المنتج الأدبي، وكذلك تطوير العملية الإبداعية. وتحددت مشكلة الدراسة بالتساؤل التالي: ما دلالة الرمز في شعر محمود درويش؟ هدف الدراسة: التعرف على دلالة الرمز في شعر محمود درويش. اشتمل هذا الفصل على حدود الدراسة، وتحديد أبرز المصطلحات، بينما تضمن الإطار النظري ثلاثة مباحث: تناولت الباحثة في المبحث الأول مفهوم الرمز وفعاليته وأوضح أهم المصطلحات المجاورة للرمز. من حيث تقارب العمل، بينما خصص المبحث الثاني لدراسة دلالة الرمز عند علماء اللغة. أما المبحث الثالث فقد خصص لدراسة دلالة الرمز من خلال تتبع مفهوم الرمز ومؤشرات الإطار النظري. واختار الباحث شعر (محمود درويش) عينة للدراسة. وكانت أهم النتائج التي تم التوصل إليها هي: تميز شعره بالصورة الفنية العالية أو "التكنيك"، يعتبر درويش أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وادخال الرمزية فيه إضافة إلى أنه ارتاد آفاقا جديدة بالمضامين والأفكار مستندا لتجربة عميقة. وانتهى الدراسة بالنتائج وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الرمز، دلالة، شعر، العصر، محمود درويش.

Abstract:

This study studies the indication of the symbol in the poetry of Mahmoud Darwish. The methodological framework addresses the problem of the study, the necessity of conducting it, its importance, the aim of the study, and the definition of the most important terms. The study problem dealt with the concept of the symbol's indication, and the levels of the symbol's function in poetry written by Mahmoud Darwish, in addition to revealing the artistic vision embodied by the poet in using the symbol within the literary product, as well as developing the creative process. The study problem was determine by the following question: What is the indication of the symbol in Mahmoud Darwish's poetry? Study objective: To identify the indication of the symbol in the poetry of Mahmoud Darwish. This chapter included the limits of the study, defining the most prominent terms, while the theoretical framework included three sections: In the first section, the researcher addressed the concept of the symbol and its effectiveness and explained the most important terms adjacent to the symbol. In terms of the convergence of the work, while the second section was devoted to studying the meaning of the symbol among linguists. The third section was devoted to studying the significance of the symbol by tracing the concept of the symbol and the indicators of the theoretical framework. The researcher chose Mahmoud Darwish's poetry as a sample for the study. The most important results reached here: His poetry was distinguish by its high artistic image or "technique." Darwish was consider the most prominent person who contributed to the development of modern Arabic poetry and the introduction of symbolism into it, in addition

to the fact that he explored new horizons with contents and ideas based on deep experience. The study ended with the results and a list of sources and references.

Keywords: Symbol, Indication, poetry, era, Mahmoud Darwish.

مقدمة:

لم تكن الرمزية في الشعر العربي وليدة الشعر المُعاصر ولا الشعر الحديث إنما تمتد جذورها إلى عصور مُتقدمة إلا إنها كانت إشارات رمزية في قصائد لبعض الشُعراء وخاصة في الغزل والتشبيب وتطورت هذه لتكون اكثر إنفعالا وأكثر وجوداً في الشعر الصوفي وخاصة في العصر العباسي الثاني وما بعده وتَكاد تكون اتجاها فنيا جديدا في الشعر العربي وخاصة في شعر الحلاج وعبد القادر الجيلاني وإبن عربي وابن الفارض وغيرهم من شعراء التصوف ، وقد كثرت الرمزية في العصر الحديث لتشكل نمطا جديدا في الشعر وخاصة في الشعر الحديث او الشعر الحر كما يسمونه على يد الشعراء نازك الملائكة وبدر شاكر السياب والبياتي وصلاح عبد الصبور وادونيس وامل دنقل وغيرهم.[1]وقد اوغل الشعراء من بعدهم في الرمزية في الشعر حتى انك لتقرأ القصيدة لبعض شعراء الرمز فلا تفهم منها الا بعد الروية – هذا اذا كنت شاعرا أو أديبا – والتزام القاموس فكيف بمفهمها المتلقي والمتتبع البسيط ؛وقد يعتبر بعض النقاد والكتاب أن هذه الرمزية هي فن جديد في الإبداع الشعري في العصر المعاصر أو للشعر الحديث؛ حيث نجد عندما نتأمل الشعر أن أعظم اختراع ابتكرته البشرية هو اللغة؛ بل ولعله أعظم إنجاز عبر تأريخ وجودها، وتأخذ اللغة في الشعر وظيفة مُتعالية فوق الوظيفة النفعية التي أسندت إليها، الغرض منه هو أن يكون مجرد وسيلة للتفاهم والتواصل؛ ومن هنا كان لا بد للشعراء من توظيف اللغة لرفعها من المستوى العادي إلى المستوى التداولي الشعري الرؤيوي الاستكشافي الذي لا يستطيع الأول الوصول إليه، لأن الاستخدام اليومي أو المنطقي للغة يجعله غير قادر على الوصول إلى هذا المستوى الشعري التعبيري. مما اضطر الشعراء إلى اللجوء إلى النزوح المصطنع. الأسلوبية هي وسيلة يمكنهم من خلالها أن يثقلوا اللغة بعبء إبراز تلك المشاعر الأساسية المخبأة في أعمق أعماق النفس البشرية ولد محمود درويش في الثالث عشر من مارس عام ١٩٤١م في إحدى قرى فلسطين تسمى "البروة" وهي قرية صغيرة تقع على بعد ٩ كم من مدينة عكا وتشتهر بصغر عدد سكانها الذي لا يزيد عن ٢٠٠٠ نسمة بالإضافة إلى وجود التلال الصخرية التي تقع فوقها؛ اسم والد درويش هو "سليم درويش"، وهو رجل بسيط كان يعمل بالزراعة فقط، وكانت والدته من قرية "الدامون لا تعرف القراءة ولا الكتابة؛ إلا أن والدها كان رئيس بلدية قرية الدامون، واسمه "أديب البقاعيّ"، كان درويش الابن الثاني في عائلته التي تتكون من ثمانية أطفال، خمسة منهم أولاد والباقي إناث. الابن الأكبر للعائلة كان اسمه "أحمد"، وتأثر به درويش في بداياته الأدبية لأنه اهتم بالأدب وأظهر اهتماما به، بالإضافة إلى أن شقيقه زكي كان كاتبا في المجال السردي. . أما محمود درويش، فلم يبق في قريته، بل تركها ليعمل مدرسا في قرية تدعى "الجديدة".[٢]ويعتبر الشاعر محمود درويش مدرسة شعرية كريمة، جذورها عميقة ومتجذرة في عالم الإبداع الشعري، وهو ظاهرة تستحق الدراسة، إذ تتميز نصوصه بالإلهام والموضوعات الإنسانية والدلالات التي تفيض بمعاني إبداعية تعبر عن أحزانه وأحزان شعبه الكنعاني النازحين؛ إضافة إلى أن نصه الشعري تُهيمن عليه الجماليات والآليات الفنية الذي ينسجه درويش في الشعر، ويظهر لنا بطريقة شديدة الرقة والجمال الفني؛ وظف درويش ألرموز التأريخية والأسطورية والدينية في نصوصه الشعرية [٣].

مشكلة الدراسة:

الشعراء عادوا إلى أسطورة البعل لأن عجزت لغتهم الشعرية عن تجسيد ما كانوا يختبرونه، فبحثوا عن أسلوب مختلف، ووجدوه من خلال الرموز؛ والشعر الحديث يلجأ إلى الرموز عندما تكون التجربة الشعرية صعبة على اللغة الشعرية العادية، فالرموز وحدها هي القادرة على التعبير عن الحالة الشديدة التي وصلت إلى حد الاحتراق. ويمكن تلخيص مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:

ما دلالة الرمز في شعر محمود درويش؟

هدف الدراسة:

١. التعرف على مفهوم الرمزية.

٢. التعرف على دلالة الرمز في شعر محمود درويش

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من أهمية الصورة في الشعر الرمزي من حياة المُبدع الحقيقية، ويستمد من تجربته صوره التي ينثرها في القصائد، فتكون معبرة وحية تثير النفس وتصل إلى أعماقها؛ وفي الرمز لا يأتي الشعراء مباشرة مع الصورة الفنية، بل يهندسونها، بحيث يُعطى للشعر إيحاءاً عميقاً

في النفوس؛ هنا تكثر الدلالات لتشكل القصيدة ذات الرمزية العالية، مما يمنح النص حركة فعالة في دلالاته وكلماته؛ كما يساهم الرمز في الارتقاء بشعرية القصيدة، وعُمق دلالاتها، وشدة تأثيرها على المتلقي. [٤].

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذه الدراسة الوصفي التحليلي.

مصطلحات الدراسة:

١. **الرمز:**

الرَّمْزُ في اللغة: الحَزْمُ والتحرُّك. · تصويت خفي باللسان كالهَمْس، ويكون تحريكَ الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين.

الرمز اصطلاحاً: هو أسلوب فني يستخدمه الكاتب بحسب تجربته العاطفية أو نظرتهُ الفنية، ويساهم في تشكيل المعنى الذي يريد إيصاله، ويكون الرمز كلمة أو حرف أو عبارة أو اسم مكان، وهو يشتمل على معنيين، أحدهما مباشر ظاهر، والآخر خفي، مرتبط بالمعنى المراد تبليغه، مثل "استخدام الحمامة رمزًا للسلام، والدماء رمزًا للحرب والقتل، والمطر رمزًا للخير، والميزان رمزًا للعدالة"، وتعد الرمزية (بالانجليزية: Symbolism) احدى المدارس الأدبية الثورية الكبرى.

المبحث الأول : الرمز

نشأة الرمز:احتل الرمز مساحة كبيرة في الشعر العربي قديمه وحديثه؛ وقد أولها الشعراء الاهتمام الذي تستحقه، ونظراً لما ينطوي عليه من اسباب (شعرية) واسباب تتعلق باتساع وعمق ثقافتهم، خاصة في الشعر الحديث، فإن المشاكل السياسية في المقام الأول أجبرت الشعراء على اللجوء إليه؛ فالرمز هو "الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضًا" [٥]،فضلاً عن ذلك فهو "يمنح القصيدة أعماقًا تستثير الفكر وتفسح آماد الخيال" [٦]؛ ولذلك نجد الشاعر بطبيعته يميل إلى التلميح بدلا من التصريح، وهذا ما يضفي على شعره صفة جمالية وشعرية وخروجا عن المألوف، حتى يمنحه بعدا خياليا يطوف في فضاءات لا متناهية.، فـ"الرمز الشعري يتضمّن التجربة الشعرية الخاصة والسياق الخاص، فالتجربة الشعورية بما لها من خصوصية في كلِّ عملٍ شعريٍّ هي التي تستدعي الرمز القديم لكي تجد فيه التفريغ الكلي لما تحمل من عاطفة أو فكرة شعورية، عندما يكون الرمز المستخدم قديمًا، وهي التي تجعل اللفظة طابعًا رمزيًّا بأنْ تركّز فيها شحنتها العاطفية أو الفكرية الشعورية وذلك عندما يكون الرمز المستخدم جديدًا" [٧]ويستلهم الشاعر الرمز في شعره، وخاصة رمز المرأة، ليغطيه في طريقة تقديم خطابه الشعري ويخفيه من خلاله حتى لا يشكل تهديدا له. ربما كانت هذه النظرة قديمة إلى حد ما، لكنها خطرت ببالها وحصلت على تحول خاص، ورفعت مكانتها، وأعطتها فرصة كبيرة في الحياة؛ ولذلك نجد أن القوة في أي استخدام معين للرمز لا تعتمد على نفس الرمز بقدر ما تعتمد على السياق، ويجب أن ندرك بوضوح أن إستخدام الرمز في السياق الشعري يضفي عليه طابعا شعريا بمعنى أنه أداة لنقل المشاعر المرتبطة بالموقف وتحديد أبعاده التنفسية [٨]، وعلى الرغم من أهمية الرمز الكبيرة وما يتضمنه من دلالات ومعاني خفية، إلا أننا قد نشعر أحياناً أن الشاعر قد يعبر عن المرأة الرمزية من خلال الوطن؛ لأنه والوطن واحد لا ينفصلان، ويعتبران كالحضن الدافئ، والأم الحنون، والملاذ الآمن الذي يلجأ إليه الشاعر، ليشعر بدفء الكلمة وصدق التعبير، و جمال الخطاب الشعري، ولذلك نجد الشاعر قد يلجأ إلى الرموز؛ ويحاول من خلالها الوصول بالمتلقي إلى أعماق المعنى الذي كثيرا ما يصادفه بوضوح في نهاية القصيدة. [٩] فاللغة الشعرية من أجمل اللغات؛ وإذا كانت اللغة الشعرية لغة تعبر عن المجاز، فهي لغة الإشارة أيضا، وذلك لأن هذه اللغة هي لغة الرموز في الشعر العربي، وهي ذات مساحة واسعة وقوة تأثيرية عميقة، وبما أن الرموز بنوعيها الطبيعي والتقليدي هي من أعمق الأسس الأسلوبية التي يقوم عليها التشكيل الفني للصورة الشعرية عند درويش، فهي أحد مكوناتها الأساسية، وسنقتصر على دراسة الرمز الطبيعي الذي يعد من أهم ركائز التصوير الرمزي، وهو شكل يبرز رؤية الشاعر الجمالية الخاصة تجاه الوجود، حيث يعمل على تحقيقها، كما أنها تمكن الشاعر من استبطان تجارب الحياة، وتمنحه القدرة على تذوق المعاني بشكل واسع، مما يضفي على هذا الإبداع التذوقي، سلطة حقيقية ونوعية فريدة من نوعها، والشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة، يجردها من عواطفه ويصبغها بنفسه، فيجعلها تبث إشاعات وتموجات تضخها الإيماءة؛ وتصبح الكلمات الشعرية الشفافة كثيفة ومحملة بالدلالات اللغوية الأصيلة في سياقها، ولا فرق بين كلمة وأخرى في هذا المجال، لأن كل مفردات اللغة يمكن استخدامها في الشعر "رمزياً"، ولا كلمة واحدة. وهو مناسب أكثر من غيره ليكون رمزاً، إذ يعتمد ذلك على استكشاف الشاعر للعلاقات الحسية التي تربط الشيء بالأشياء الأخرى.[١٠]

اهم المبادئ والافكار في المدرسة الرمزية:

١- الأبتعاد عن الواقع، وأستخدام الخيال بحيث يعبر الرمز عن المشاعر العاطفية والمعاني العقلية.

٢- الأبتعاد عن الأوزان التقليدية في الشعر، واستخدام الشعر المطلق مع الالتزام بالقافية أو الشعر الحر.

٣- الغموض: هو الخروج عن أسلوب الدقة والوضوح والمنطق والبلاغة والمباشرة، وهو ما يُخيم على القطعة الأدبية ولا يفهمه إلا ذوو الأحاسيس الفنية الحساسة.

٤- الايحاء: إذا كانت الرومانسية تنقل عن طريق العاطفة الكلاسيكية تنقل المعاني عن طريق العقل ، فإن الرمزية تنقل هذه الأفكار إلى القارئ وتقرب الصفات البعيدة من بعضها البعض من خلال الإيحاء.

٥- الموسيقى الشعرية: موسيقى الكلمة والقصيدة، مستفيدة من الطاقات الصوتية الكامنة في الكلمات والحروف ، المفردة والمركبة، ومن التناغم الصوتي العام في مقاطع القصيدة.

٦- الأسلوب التعبيري: وجدت الرمزية أسلوباً جديداً لنفسها، أي من خلال قوة إثارة العواطف، وتحريك الأفكار والعواطف، من خلال التلميحات والومضات، ونقل العواطف بشكل عام بطريقة قوية غير مباشرة.

٧- اللغة الحسية: تعتمد أشكال الرمزية على البيانات الحسية كأدوات للتعبير، مثل اللون والصوت والأحاسيس اللمسية والحركية، والبيانات الشمية والذوقية.

المبحث الثاني : الرمز الشعري لدى محمود درويش

إذا كانت اللغة الشعرية هي لغة المجاز، فإنها أيضاً لغة الرمز. ذلك لأن مساحة الرمز في الشعر واسعة وآفاقه رحبة وطاقته الإيحائية كثيفة. وبما أن الرمز بشقيه، الطبيعي والتراثي، من أهم الأسس الأسلوبية التي يقوم عليها تشكيل الصورة عند درويش وأحد مكوناتها الأساسية فسوف نقف عنده لنرى كيف يشتغل، إلى جانب بقية المكونات في بناء الصورة. وسنكتفي بدراسة . الرمز الطبيعي. ويشكل الرمز الطبيعي أحد أهم عناصر التصوير الرمزي، وهو شكل يبرز رؤية الشاعر الخاصة تجاه الوجود، ويعمل على تخصيبها، كما أنه يمكن الشاعر من إستبطان التجارب الحياتية، ويمنحه القدرة على استكناه المعاني استكناهاً عميقاً، مما يضفي على إبداعه نوعاً من الخصوصية والتفرد والشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة، يخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته ما يجعلها تنفث إشاعات وتموجات تضخ بالإيحاءات. فتصبح الكلمات الشفافة القريبة المعنى مكثفة ومحملة بالدلالات. ولا فرق بين كلمة وأخرى في هذا المجال، لأن كل مفردات اللغة لها أن تستخدم في الشعر "استخداماً رمزياً. ولا تكون هناك كلمة هي الأصلح من غيرها لكي تكون رمزاً، إذ المعول في ذلك على استكشاف الشاعر للعلاقات الحسية التي تربط الشيء بغيره من الأشياء [11]فالشاعر ينظر إلى الطبيعة وما حوله على أنها شيء ممتد لوجوده وكيانه، فينظر لها نظرة متغذية من تجاربه،وإضافة إلى ذلك ما تضفيه المحاور النفسية والأبعاد على الرمز من تفرد، يلعب السياق كذلك دوراً فاعلاً في إذكاء إيحائيته، من أجل ذلك استوعب الشاعر محمود درويش الرمز الطبيعي استيعاباً وفهماً آخاذاً، وقد لا نبالغ إذا قلنا بأنه قد صنع قاموساً أصيلاً منحوتاً لنفسه باستخدتمه لتلك الرموزفي سياقاتها ، وكأنها خارجة من نور الشمس، وهي كثيرة لا عدَ لها حتى يبدو وكأن مفردات اللغة كلها قد رجعت إلى رموز بين يديه، ومن الرموز الأثيرة لديه نجد: "الأرض، التراب، الزيتون، البرتقال، يافا، حيفا، البداية، والنهاية، الشعر، الأغنية، الحلم، الزمن، الريح، الحريق، المطر، الحمام، المرايا، الليل، الحجر، السنديان، القمر، البحر، الرمل، الفراشة" وقد تكررت في سياقاته الشعرية ونصوصه حتى أصبحت أساساً لصور فنية شعرية رمزية مهيمنة، أسماها نورمان فريد مان من قبل "عناقيد الصور"، وقد أكسبها تكرارها داخل مجموعة من النصوص حُلة من المفاهيم الخاصة التي تتجدد باستمرارية كتجدد الشعرية والموقف؛ ونظراً لكثرة الرموز المستخرجة من شعر درويش، فإننا نقتصر على الرموز السائدة في النص الشعري، لا سيما تلك التي لها معنى محدد في سياقات مختلفة، ولا سيما تلك المستوحاة من تجاربه الأخيرة مثل رموز البحر والفراشات و قمر.

١ . الدلالة الرمزية للبحر:غالبًا ما يعبر البحر عن صورة رمزية للقوة والعظمة والغموض؛ وهو أحد العوامل الطبيعية التي تظهر بأعداد كبيرة في الخلق المعاصر، ولها أبعاد جمالية وروحية وإنسانية، إلا أنها لا تدور حول محور، إذ يتميز استخدام درويش لرمز البحر باستخداماته المتعددة في سياقات مختلفة، ولكن بلغات مختلفة، بناءً على تجربة كل شاعر وخياله الخاص، فهي مذكورة في سياقات مختلفة ولها اختلافات ودلالات لغوية، وهي تحتل مساحة مهمة وملهمة في نصوصه الشعرية، حيث تتخلل العديد من الصور المجازية، فتشكل رمزا نابضا بالحياة والروح، للبحر دلالة بسيطة، لذلك يتم تقديمه كأحد أهم العناصر؛ عنصر فريد يردد بطبيعة الحال طبيعة فلسطين، كما في هذا المقطع من قصيدة "أغنية إلى الريح الشمالية" :[12]

وكسرني الرحيل

وتقاسمتني زرقة البحر البعيد

وخضرة الأرض البعيدة.

فهو لم يتجاوز في هذه الصورة الاستعارية بعده الحسي، حيث استعمل لغايات تلوينية محض، وقد استعمل أيضاً أداة مساحية للقياس في إطار هذه العلاقة التشبيهية الدالة على البعد، حيث قال درويش في قصيدة "النزول من الكرمل: [13]

أيها الكرمل المتشعب في كل جسمي

لماذا تحملني كل هذه المسافات

والبحر فاصلة بيننا.

في هذه الصورة لم يخرج البحر عن مدلوله أو دلالته المباشرة في صورته الدلالية البلاغية الشعرية، ولم يمنحه وروده، في إطار هذه العلاقة التشبيهية الاستعارية البليغة، أية دلالة إيحائية، على عكس ما نجده عليه في هذه الصورة حيث يقول درويش في قصيدة "الخروج من ساحل المتوسط"

أنا قشرت موج البحر زنبقة لغزة.[14]

في هذه الصورة الشعرية الإستعارية المركبة من استعارة مكنية تضع تحت جوانحها تشبيهاً بليغاً ترمز إليه، إن محمود درويش رسم صورة تخيلية للبحر للإنتقال نقلة نوعية من المجاز المعنوي إلى الحقيقة، إلا أنه في المراحل المتقدمة من تجربة درويش الشعرية أصبحت دلالة البحر الأصلية تأخذ مساراً آخراً وهي الدلالات الرمزية المتنوعة، فبعد أن كان البحر بوابة لفلسطين التي تستقبل أبنائها، تحول إلى بوابة نحو التأريخ عن مشاهد وأحداث جمة ووقائع يسجلها في وثيقة تختزن فؤاد التاريخ وأما عن موسيقى جرسه المتحرك،لقد أصبح شاهداً على الفواجع يقول درويش في قصيدة "تأملات سريعة في مدينة قديمة وجميلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط": [15] :

يابحر البدايات، إلى أين تعود

أيها البحر الذي حُوصر

بين اسبانيا وصور

إنّ الأرض تدور

لماذا لا ترجع غلى حيث أتيت؟

آه من ينقذ هذا البحر

دقت ساعة البحر

تراخي البحر؟

إن الصورة البلاغية في الشعر السابق تتكئ على أساس التكرار، إن تكرار كلمة البحر في القصيدة وثناياها للدلالة على الشعب الفلسطيني تارة بقوله: (أيها البحر المحاصر)، والدلالة على الرحيل تارة أخرى بقوله: (دقت ساعة البحر)، وكأن الرحيل بالنسبة لهذا الشعب قدر لا مفر منه، وجاء البحر في صيغة منادى ليعبر عن منطلق وهو وطأة هذا الرحيل، وزاد في تعميق هذه الدلالة اقترانها بحرف نداء يفيد القريب والبعيد معا، للمناداة على شعب قريب من الروح بعيد عن الأرض، أما عن سياقات لفظة البحر فقد أتى في سياقات توحي بالحصار الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني المؤدي إلى التشرد والموت، وأصبح موضعاً تتعايش فيه الأزمنة والأمكنة جميعاً (يا بحر البدايات) لتعزف مقطوعة التيه الكوني الأبدي، في رحلة لا تنتهي، رحلة آدم في البراري، ورحلة جلجامش الذي خرج بحثاً عن الخلود، ورحلة عوليس الذي ركب لجج البحر بحثاً عن أبيه، وهاجر التي خرجت في رحلة لا تنتهي، تأتي هذه الصورة الرمزية البلاغية لمعانقة فكرة استعراض الهم الفلسطيني المتمثل في التشرد بوصفه حقيقة غابرة عبر الأزمان يواجهها الإنسان الفلسطيني كما واجهها أجداده في الأندلس (أيها البحر المحاصر بين إسبانيا وصور)، وإذا كانت صورة البحر تعطي معانٍ عدة منها القوة والعظمة فهي توحي في هذا السياق بالضعف والانهزام والجبن والفتور (تراخي البحر)، بل صارت علامة على الموت، يقول درويش في قصيدة: "نزل على البحر": : [16]

طالت زيارتنا القصيرة

والبحر فينا مات من سنتين.. مات البحر فينا.

تدور الفكرة حول البحر بأن كل قوة وخلود وعمق وكل شيء جميل تحبه النفس مات بعد الهجرات المتوالية للشعب الفلسطيني شتات بعد شتات، وعلى الرغم من ذلك إلا أن الأمل ما زال موجوداً فالبحر رغم كل شيء لا زال جميلاً فيه الخير الوفير والحياة "يكتب الراوي: يموت: [17] ليس لي وجه على هذا الزجاج

الشظايا جسدي

وخريفي نائم في البحر

والبحر زواج.

في هذه الصورة الاستعارية للفظتا البحر والخريف دلالة قريبة تتلائم مع الرمز وتتحولان إلى رمز يمنحها أبعاداً تكشف أكثر عن إيحاءات تتطلب من المستمع عصفاً ذهنياً مضاعفاً ليدرك نظمها، في هذه الصورة، إذن رمزان، رمز "الخريف" ورمز "البحر"، يتفاعلان مع عنصري التشبيه والاستعارة فيؤلفان معانٍ لصورة متسقة ، تبدو عناصرها متباينة على مستوى الظاهر وإن كانت موحدة على مستوى الشعور والوجدان والعواطف، ويشكل هذان الرمزان جسراً باعتبارهما منتجين للحدث، فرمز الخريف يدل على معنى في نفسه وهو رمز للمساء والشيخوخة بمعنى انتهاء دورة الحياة، وهو ما تحيلنا عليه الاستعارة المكنية (خريفي نائم) المعطوفة على التشبيه البليغ (الشظايا جسدي)، ولكن دلالته لا تقف عند هذا المعنى أو الحد، وإلا صار رديئاً، فقد منحته العلاقة الإسنادية بين الخريف والنوم، والخريف والبحر دلالة جديدة زادت المعنى تكثيفا وإيحاء لتقتفي آثار المعانيبحسب ترتيبها في النفس. فاقتران الخريف بالنوم دلالة على الخمول، والنوم يكون في والمساء يتلوه صباح جديد، كما أن النوم يتلوه استيقاظ، والخمول لابد أن تتبعه يقظة، فهو إذن كنظم له أبعاد أسطورية تحيل على البعث والخصب يزكيها ما تحمله دلالة البحر من إيماءات، فهو بجانب ما يحيل عليه من معاني الغموض والقوة والاتساع، أصبح يحمل مدلولا آخرا دقيقاً شاملاً جنسيا يحيل عليه التشبيه البليغ: (البحر زواج) إيذانا باستمرار دورة الحياة، شتاء، ربيع، صيف، خريف يتلوه أيضاً شتاء وربيع، فالربيع يسبقه خريف، وتمتع الشعب الفلسطيني بالحياة مشروط بالتضحية وذلك هو تآلف الكلمات ذات الأبعاد الواسعة.لم يقتصر درويش على صورة البحر باعتباره نعتا لجزء جغرافي معين، وإنما استقى لونه أيضاً، ولكن ليس بهدف التلوين فقط، وإنما حمله دلالات جديدة، بل ومناقضة تماما لما عرف عن هذا اللون من إيحاء بالاطمئنان والهدوء. يقول درويش في قصيدة "أحمد الزعتر": [18]

"لم تأت أغنيتي لترسم أحمد المحروق بالأزرق

هو أحمد الكوني في هذا الصفيح الضيق

المتمزق الحالم

وهو الرصاص البرتقالي. البنفسجة الرصاصية

وهو اندلاع ظهيرة حاسم.

في يوم حرية"

لم يعد اللون الأحمر في التذوق الأدبي لأشعار درويش، وحده رمزاً للدم وإنما تحولت كل مظاهر الطبيعة في فلسطين بحروفها وأصواتها ومآلها وأصالتها وروعتها من تراب وبنفسج وبرتقال، إلى رموز للتضحية والفداء. وتحول البحر من خلال لونه إلى رمز من رموز العذاب الجسدي والروحي التي يواجهها الشعب الفلسطيني([19])و يوحي في هذا المقطع بفلسطين كلها، بدمها السائل ولحمها المحروق ومخيمات الصفيح الضيقة يستدعي الشاعر في هذا المقطع اسم النبي – صلى الله عليه وسلم– لما له من جماليات دلالية دينية وروحية باللغة الروعة بإضفاء مسحة أسطورية مدهشة على شخصية المقاتل الفلسطيني، تجعله متميزاً بصفات خارقة(هو أحمد الكوني في هذا الصفيح الضيق المتمزق الحالم)، فأحمد ابن تل الزعتر، يتحول من إنسان عادي يسكن مخيما من الصفيح إلى مقاتل جسورصارم، يتطلع إلى مستقبل حالم جميل ليصنع مجداً يليق بشعبه وبالإنسانية فتحل روحه في الطبيعة لتبعث فيها الحياة من جديد هو تموز جديد ليختلط دمه صورة بتراب ويتحول إلى نار تحرق الاحتلال لتهزمهم، لم نعد في هذه الصورة الكلية أمام مجازات من النوع العادي(هذا الصفيح الضيق المتمزق الحالم، هو الرصاص البرتقالي، البنفسجة الرصاصة، هو اندلاع ظهيرة حاسم). وإنما صرنا أمام مكان بلا حدود يفسح منافذ لا حدود لها لاشتغال الرمز، فهذا البرتقال يخرج عن إطاره بوصفه ثمرة من ثمارالشتاء ليرتبط بالرصاص (بالدم) وهذا البنفسج الذي تتساقط وريقاته وتمتزج برائحة الأرض المعطرة بدماء الشهداء يرتبط أيضاً بالرصاص وكأن الرصاص هو مصدر الحياة، وهو وحده السبيل إلى الحرية.

٢ . – الدلالة الرمزية للفراشة:تعد الفراشة صنفاً من الحشرات بألوانها الرشيقة المؤثرة، ففيها معنى الجمال والرقة، والرشاقة والأناقة لوناً وحركة، وهي أشبه لرمز الخلود عند أفلاطون[20]،وقد استثمر درويش إيحاءتها في بناء عدد من صوره الشعرية الدقيقة في محلها اللائق بها. يقول في قصيدة "مقعد في قطار :[21]"كل أهل القطار يعودون للأهل، لكنا لا نعودإلى أي بيت، نسافر بحثا عن الصفر، كي نستعيد

صواب الفراش في هذا المقطع البلاغي الشعري يبدأ درويش في رسم صورته من الواقع والحقيقة، غير أنه لا يلبث أن يتجاوزه إلى المجرد بالائتلاف. حيث ينطلق من موضوع حسي محدد هو السفر. حيث أن الجميع يسافر لهدف وغاية، إلا الفلسطيني في هذا الكلام البليغ سفره دائم لا وجهة محددة لديه، وليس وصف السفر هو المقصود هنا، وإنما المقصود مايتركه هذا السفر من انفعالات في النفس ، من الغموض والغرابة، إن ربط الهدف من السفر بالصفر وإسناد إعادة الصواب للفراشة في هذه الأشعار المزدوجة (نسافر بحثاً عن الصفر كي نستعيد صواب الفراش)، وإن لدقة التركيب وطرق التصوير في الجمع بين العبارتين الاستعاريتين بأداة (كي) يفيض على الحواس إفاضة ليزيد المعنى تغريباً كلها عناصر تضافرت برمزها لتوحي بحالة من نمط التيه الناتجة عن فقدان الهوية التي يحاول درويش أن يضمن لها الاستمرارية ليتغلغل من أعماقها البدء من جديد (من الصفر)، والتخلي عن التهجير الذي لا فائدة منه لقد طور الشاعر دلالة الفراشة في لغته ليخاطب العقول والعواطف لتصير رمزا للأرض يقول في قصيدة "أعراس"[22] :

وعلى سقف الزغاريد تأتِ الطائرات

طائرات

طائرات

تختطف العاشق من حضن الفراشة ومناديل الحداد.

ينطوي تركيب الإضافة في الاستعارة المكنية (حضن الفراشة) على عدة معان يفرزها سياق النص. فقد أدى تحريف لفظة الفراشة عن موضعها إلى توليد معان عديدة ضاعف من إشعاعها تكرار الحال (طائرات، طائرات) وكذا التعبير المجازي المتمثل في المجاز المرسل (تجئ الطائرات طائرات تخطف العاشق... ومناديل الحداد) الذي أخرجها عن معناها المجازي الدال على المرأة إلى معنى رمزي شامل يحيل على الأرض وكل ما يدور في فلكها من معاني الشهادة/ الزغاريد، والاستشهاد/ العاشق الشهيد. طور الشاعر دلالة الفراشة في لغته لتصير رمزا مكثفا تتجاذبه عدة إيحاءات. يقول في قصيدة "من سماء إلى أختها يعبر الحالمون":[23] :

يافراشة! يا أخت نفسك، كوني

كما شئت، قبل حنيني، وبعد حنيني،

ولكن خذيني أخا لجناحك يبق جنوني

معي ساخنا! يا فراشة! يا أم.

نفسك لا تتركيني لما صمم الحرفيون

لي من صناديق... لا تتركيني.

حين نركز على المركبين (أخت نفسك، أم نفسك)، المعطوفين على الفراشة المتمثلة باقترانها بأداة نداء (نداء غير العاقل)، فإننا نرى كيف أن اسم الفراشة يتجاوز الوصف بأنه اسم لصنف من الحشرات، وهي بصفتها المفردة حكاية ليوحي بمعان عدة ترمز بها إلى أطوارحياة الفراشة وتطور خلقها تلك الكائن اللطيف الدقيق الذي أبدع الله في خلقه انطلاقا من الأسروع (دودة القز) حتى النفغة (عذراء الفراشة)، ومن النفغة إلى الفراشة. بعد أن تنهي دودة القز وظيفتها، بوضع البيض ونسج خيوط الحرير، تخلد للنوم ملتفة بخيوطها لتتحول بعد فترة إلى فراشة، وبذلك تتحرر من شرنقتها الأرضية لتنهي بقية حياتها طليقة، يجذبها الضوء أينما كان، فتحوم حوله حتى الاحتراق امتداداً إلى ألوانها المخملية. وإنه لمن العجب والإبداع استوحاء درويش كل هذه المعاني (التحرر، الانطلاق، الحرية، الاحتراق) لا لإيصال فكرة واحجدة بل عدة أفكار، ليعبر عن تجربته الذاتية وإنها لتجربة الشاعر المتألق في شعوره ووصفه، فحرف النداء يشي بأن استدعاء رمز الفراشة هو نداء للذات أيضاً ومن أجل الذات. كيف ذلك؟ الجواب نجده في السياق من خلال مختلف العلاقات القائمة بين مكونات الصورة الكلية بل والجزئية، بدءا بالصيغ الطلبية (صيغ النداء المتعدد، صيغة الأمر: فعل الكينونة، وخذيني، ضيعة النهي، لا تتركني)، مرورا بالكناية (خذيني أخا لجناحيك) الدال على رغبة الشاعر في أن تمنحه الفراشة شيئا من كينونتها الأبدية (الحرية والإنطلاق)، والاستعارة المكنية المتمثلة في (ليبق جنوني معي ساخنا) التي جمع فيها بين المجرد (جنوني) والمحسوس (ساخنا) للدلالة على الانطلاق والتحرر من سيطرة العقل والجسد معا. وصولا إلى التعبير الكنائي (لا تتركيني لما صمم الحرفيون لي

من صناديق) الدال على رغبة الشاعر في التعالي على كل أشكال الغدر المتمثلة في الاتجار بالقضية الفلسطينية التي حولتها بعض السلطات السياسية إلى سلعة للاتجار متخلية عن المبدأ، دون مراعاة لقضية نفخر ونعتز بها كل الاعتزاز هذه القضية التي تصورمعاناة شعب كامل يعاني جميع أصناف الإقصاء والإهانة والقتل والجراح، ولكن الجراح ستلتئم ولو بعد حين.

كل هذه المكونات تصب في مركز الرمزية – الفراشة – ، التي تكشف عن معان لا متناهية، ليوضح لنا الشاعر بأن المعاني الدلالية التي ترمز لها الفراشة إنما هي معانٍ عميقة في بابها، يتجاوز فيها الشاعر تلك العلاقة السطحية بين الفراشة والاحتراق ليقتفي دلالات أكثر عمقا تربط الفراشة بسياق الموت/ التضحية والاستشهاد من أجل القضية الأولى وكذا ما يحيل عليه الاستشهاد من دلالات في إيضاح تلك النظرية الفنية الأسلوبية الروحية المتمثلة في فكرة الخلود.

٣ . الدلالة الرمزية للقمرعودنا الشعراء البلغاء الفصحاء أن يجعلوا للقمر أداة لتؤدي أغراضاً عدة في شعر الغزل فالمشبه به هو القمر وهو وصف رائق رائع في تشبيب المحبوبة وذكر ملاحتها من جمال وحسن وبهجة وغضاضة، وصدر رؤوم لبث الشكوى، والصديق الصادق في الوحدة، ولكن القمر في شعر درويش أخذ منحنى آخر فكان مختلفاً في تطبيقاته وأغراضه إذ انتقل من مجرد رمز طبيعي إلى رمز يوحي بدلالات جمة، يقول درويش في قصيدة "خائف من القمر": [24]

خبئيني أتى القمر
ليت مرآتنا حجر!
(...)
وجه أمسى مسافر
ويدانا على سفر

في ما سبق يتقاطع القمر مع رمزين آخرين، هما المرايا والحجر، لعل الأول يدل في هذا السياق تجلية الحقيقة بينما يدل الثاني على المجاز والرمز وهو الصمود والثبات، إذ أنهما كثيرا ما تكررا في شعر درويش، وقد جاءا في هذا المقطع في صيغة تشبيه بليغ من حيث إدراكها وتذوقها مقترنا بأداة التمني (ليت) للإيحاء برغبة الشاعر في التحليل والشرح والإشارة إلى الاتحاد بالأرض والتوحد مع عناصرها لكي لا تتحول حقيقته إلى سراب بسبب محاولات المستعمر المتكررة لاقتلاعه من الجذور والإلقاء به في المنافي يستمد القمر، إذن، دلالته من هذين الرمزين ليصبح شكلا من أشكال الحقيقة المخيفة التي كانت متوارية فانكشفت، وهي حقيقة لا تكذب، كما أن المرايا لا تكذب، بل تكتفي بعكس الحقيقة، كيفما كانت. إن مدار القمر هو الغد الذي لا مفر منه، غد الشتات والسفر إلى المجهول، وكأن قدر سكان تلك الأرض هو السفر الأبدي الأزلي، وأن السفر هو الحقيقة الوحيدة التي يمتلكونها، في الأرض (وجه أمسى مسافر)، والوجه يساوي أيضاً الحقيقة في هذه الاستعارة المكنية والحاضر (خبئيني أتي القمر) والمستقبل (ويدانا علي السفر). وإذا كان القمر مصدر إشعاع ضياء ونور فإن درويش لا يكتفي منه بالإشارة المادية لليل الغيهب ، وإنما يستعمله في سياق أخر يكتسب فيه دلالات جديدة. يقول درويش في قصيدة "لحن غجري":

شارع أبلج
وبنت
خرجت تشعل القمر
وبلاد بعيدة
وبلاد بلا أثر.

إن الذي يلفت انتباهنا في هذا المقطع هو ورود جمل خبرية قصيرة، تربط بينها أدوات العطف وتبدو في ظاهرها بسيطة، فدرويش لم يحصر ولم يكتفي بتوخي حالة معينة أو وصف معين، ولكن سرعان ما يدل على الرمز، من وسط هذا المقطع، ملفعا في هذه الاستعارة المكنية (وبنت خرجت تشعل القمر) ليكشف عن عن صلة بين الكلمة والمعنى الخامد خلف تلك البساطه المفتعله، ويرسل بإشعاعاته في أوصال النص حتى لا يؤدي إلى فساد المعنى،فكأنه يضم الشيء إلى الشيء لترتيبها في النفس فيصبح بوصلة توجه مساره، وتدعونا إلي التأمل في أبعاده، ففي هذه الاستعارة المكنية تستوقفنا طبيعة العلاقة التخييلية التي تتحقق بإسناد الاشتغال إلي القمر التي ترمز إلي اشتغال من نوع خاص، اشتعال يتعدي الحيز المكاني الضيق إلي كل الأمكنة التي يطالها ضوء القمر، إن القمر في هذه الصورة ذات الطابع الاستعاري قد تجاوز مدلوله القريب ليتحول إلي رمز لكل ما ينير الدرب ماديا ومعنويا .،إن محمول الرمزي هنا يحيل علي كل ما ينير النفس ويشرع أبواب الأمل ويعيد الثقة في المستقبل الذي

أصبح يبدو مستحيلا.وفي سياق أخر تتطور دلالة القمر فيصبح معادلا للأرض التي تحولت إالي مجرد حلم وذكري بعيدة، يقول درويش في قصيدة "البئر: [25]

اختار يوما غائما لأمر بالبئر القديمة.
ربما امتلأت سماء. ربما فاضت عن المعني وعن
أمثولة الراعي، سأشرب حفنة من مائها.
أقول للموتي حواليها: سلاما أيها الباقون
حول البئر في ماء الفراشة ! أرفع الطيون
عن حجر: سلاما أيها الحجر الصغير ! لعلنا
كنا جناحي طائر ما زال وجعنا، سلاما
أيها القمر المحلق حول صورته التي لن يلتقي
أبدا بها .

تحضر في هذا المقطع مختلف اشكال الطبيعه من بئر وحجر وماء وطيور وفراشات، تنبعث من الذاكرة لتشكل عالما جميلا بكل اشيائع وبكل دقائقه وتفاصيله، إنه عالم الحلم الجميل الذي لم يعد للشاعر سواه وسط هذا الغياب/ المنفي. ولتسليط الضوء علي هذا النص، ومن خلاله علي دلالة القمر، ارتأينا أن نقتحمه من العنوان باعتباره طرفا أساسيا في أي نص، وبؤرة إشعاعية تضيء جنباته، وعتبة أولي لولوجه. انطلاقا من العنوان التالي: البئر (خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه البئر)، نستشف أن هذا الاسم يتجاوز دلالاته الأصلية باعتباره جزءا من الأرض، يحتوي علي مياه جوفية ليرمز إلي أرض فلسطين كلها، فتسري بذلك شحناته الدلالية في عموم النص، واذا كانت البئر جالبة بمائها لكل ظمأن او عابر سبيل فانها في النص تومض في احدي الاستعارات الرمزية، وتدخل في علاقات تجاذب مع الصور الاستعارية والتشبيهية والرمزية الاخري في النص: (وأقول للموتي حواليها: سلاما، أيها الباقور حول البئر في ماء الفراشة)إذا اقتضى الأمر أن نفك هذه الجملة الاستعارية مثلا سنجد أنها غنية بالذائقة الجمالية دلالة ومعنى، فالماء في هذا السياق يوحي بالحياة والاستمرارية أما الفراشة فتوحي بالانطلاق والتحرر، وهي هنا ربما توحي بتحرر الجسد من سجن البدن ،أو ترمز إلي الخلود إذا قارناها بلفظة الباقون الدالة على بالبقاء والثبات والاستمرارية والجملة الاستعارية كلها ترمز إلي أن الارض ليست مجرد تراب وإنما هي هوية يحملها الفلسطينيون أينما نزلوا وارتحلوا، يفتدونها بأرواحهم التي لا بدن لها إلا هذه الأرض، ولا مستوطن لها إلا حول هذه البئر (لم يقل قرب وإنما قال حول: وهي تعني الإحاطة والشمول). وإذا كان اقتران البئر برمز الماء والفراشة قد لون رمزيتها، فإن السياق بدوره قد غذاها بشحنة إضافية. إذ تبدو كجسر بين متتاليات من الجمل الشعرية والأنساق الأسلوبية المثقلة بالنفي، الغنية بالتكرار (سلام أيها الباقون سلام سلام أيها الحجر...)، الذي تلوح بين طياته عدة صور تشبيهية واستعارية مفعمة بالرمز تغذيها شرارات العنوان المشتعلة في تلافيف النص. وإذا وقفنا عند أجزاء هذه الصورة التشبيهية وعلاقتها بالمعنى: (سلاما أيها الحجر الصغير! لعلنا كنا جناحي طائر ما زال يوجعنا) وجدناها حافلة بدلالات غنية تحاكي ما يعتري النفس من مشاعر وإحساس. ففي هذا التشبيه الموحي يشبه الشاعر نفسه والحجر بجناحي طائر، واقتران الشاعر بالحجر (كنا) يحمل عدة دلالات ، بحيث يتعامل معه الشاعر لا بوصفه جمادا، وإنما يرى فيه كائنا يتحرك، له ماض وذاكرة وتاريخ يرتبط بتاريخ المنطقة، يستعيد معه الشاعر طفولة كان يسودها الأمان والإطمئنان في أحضان أرض (والحصي جزء من الارض) كانت تنعم بالحرية، كانت له طفولة بريئة وديعه وداعة طائر يقفز من غصن لغصن ويغرد جذلا طليقا،ولكن هذه الطفولة أصبحت مجرد ذكري موجعة تضاف إلي هذه الصورة التشبيهية صورة استعارية أخري تغني النص بدلالاتها الثرية: (سلاما أيها القمر المحلق حول صورته التي لن يلتقي أبدا بها!)فهذه الصورة الاستعارية ترتبط بالصورة الأساسية أو الصورة الأم وأثار نظمها وترتيبها وتذوقها(سلاما ! أيها الباقون حول البئر في ماء الفراشة). وتصب في نفس السياق، حيث يشبه الشاعر القمر بطائر يحلق حول صورته المنطبعه علي صفحة الماء، وما البئر إلا صورة للقمر، وما القمر إلا وجه آخر للأرض السليبة البعيدة عن الشعب الفلسطيني بعد السماء عن الأرض، يستحيل بينهما اللقاء.

الجانب التطبيقي: دلالة الرمز في شعر محمود درويش

يمكن أن ننقل الأشياء من دلالها الطبيعي إلى مدىً أوسع حيث يمكننا أن نسوق لها مدلولات غير التي تظهر بها، فيكون الدَّال الظَّاهر إطاراً خارجياً لمضمون يستوحى منه، وقد يكون هذا النَّقل موافقاً ومطابقاً لما قصد إليه الأديب، وربما يكون خلافه ، ويستنبط المعنى من مجموع الدَّلالات

التي تلحق به ويكون الاستنتاج هو الرَّابط بين الدَّال والمدلول ، وهذا ما أتفق على تسميته "الرمزية " وهي " طريقة في الأداء الفني تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها بدلاً من تقريرها أو تسميتها أو وصفها " [26]

نماذج من نصوص رمزية :

في قصيدته " يطير الحمام " استخدم محمود درويش الحمام ليرمز إلى وطنه وسلامه الضائع. فقال [27]:

"يطير الحمام
يطير الحمام
اعدي لي الأرض كي استريح
فأني احبك حتى التعب
.. أنا وحبيبتي صوتان في شفة واحدة
أنا لحبيبي أنا, وحبيبي لنجمته الشاردة
وندخل في الحلم, لكنه يتباطأ كي لا نراه
وحين ينام حبيبي أصحو لكي احرس
الحلم مما يراه
.. يطير الحمام
يطير الحمام"

الحمامة التي تطير، تهبط... وتطير، تهبط... وهكذا... هي حلم السلام الذي يطارد الشاعر ومحبيه، أو يشرق بشكل متقطع في حياة شعبه، الذي ينتظر هذا السلام يتأرجح بين السماء والأرض حتى يعود إلى وطنه وينتهي كابوس الاحتلال، سنوات طويلة، الشاعر... تجول في السماء والأرض، وطلب من وطنه أن "يهيئوا الأرض" ليرتاح من "تحليقه" الذي لا ينتهي... تعبت أجنحته وعليه أن "يهبط" على أرضه... ويلتقي بحبيبته المغتربة. [28]. هما (صوتان على شفة واحدة)، وهو يحرسها في أحلامها... كما يطارد أحلامه الضائعة، لكنه في نهاية الرحلة ينتهي بـ "يطير الحمام..يطير الحمام" يلغي (يحط) الحمام لأن هذا السلام لم يعود ، بعد كل هذا العصر خسر في انتظار أن يتحقق.. تلاشى ، ولن يأتي.

كما وظف محمود درويش الرموز التاريخية والأسطورية والدينية ("تموز والعنقاء ويولسيز. وضياع الأندلس والنبي يوسف واخوته.. وغيرهم كثير") في مجموعاته (أحد عشر كوكبا)، لماذا فعلت ذلك؟ اترك الحصان وشأنه، و(سرير الغريب) وغيرهما؛ ويستخدم في قصيدته "أنا وجميل بثينة" و"قناع... لمجنون ليلى"القصص التقليدية عن الحب العذري لجميل بثينة ومجنون ليلى للرمز إلى حبه (الأسطوري) لوطنه، لكن المعاصرين لقد رحلت بثينة والمعاصرة ليلى (الوطن)، وحال بينه وبينه ألف ستار وستارة، ولم يعودا يلتقيان. هل هو ممكن؟ يقول [29]:

"كبرنا، أنا وجميل بثينة, وكل
على حدة في زمانيين مختلفين
... يا جميل ! تكبر مثلك مثلي
بثينة ؟
تكبر يا صاحبي خارج القلب
في نظر الآخرين..
... هي, أم تلك صورتها
إنها هي يا صاحبي, دمها, لحمها
واسمها, لا زمان لها, ربما استوقفتني
غدا في الطريق إلى أمسها..."

*ويقول في قصيدة "قناع لمجنون ليلى" ([30]):

"وجدت قناعاً, فأعجبني أن
أكون أخري, كنت دون

الثلاثين, احسب أن حدود
الوجود هي الكلمات, وكنت
مريضاً بليلى, كأني فتى شع
في دمه الملح, أن لم تكن هي
موجودة جسداً فلها صورة الروح
في كل شيء
... أنا قيس ليلى
غريب عن اسمي وعن زمني
.. أنا قيس ليلى, أنا
وأنا... لا أحد"

في هاتين القصيدتين يستحضر محمود درويش أقنعة العشاق المشهورين في التُراث العربي "جميل بثينة، وقيس لبنى، ومجنون ليلى"، ويبدأ في الرمز والدلالة على حالة الحب الأبدي الكبير بين العشاق وحالة الفراق المرير الذي عاشه كل منهما في حبه وعشقه. وهذا هو الوضع الذي يصوره الشاعر على نفسه وعلى محبوبته اليوم (أرضه ووطنه)، وبأسلوب حواري عميق هادف، يتساءل ويستفسر من العاشقين القدامى الوفيين عما إذا كانت هذه المتاعب في الحب.. الفشل والفراق والبعد القسري عن الحبيب دمر حبهم وأنساهم في نسيانه... يكشف لنفسه إن كان... هذا البعد الطويل والنفي عن وطنه جعله يتعرف على وطن آخر... أو حب آخر... بعد المسافات الطويلة... ومضى العصر دون أن يلتقي بحبيبته... لكنه يكتشف الجواب النهائي... ويستنتج الموقف الصريح من ردود جميل وقيس... الردود المقنعة . بالرمزية والإيحاء... وبعد ذلك يقتنع بأن الشعراء ينمون... وترحل أجيال عن الوطن تنتظر (الخالدة)... تنتظر عودة العشاق... عودة الأهل.. مهما طال الزمن للمحبوب سواء كان جسداً أو روحاً، إنها حاضرة ومنتظرة (لديها صورة الروح في كل شيء). وإذا غرب الشاعر... وإذا ضاع قيس... فالحبيب ينتظر حتى النهاية (الصابرة مع ليلى)... ينتظر فارسها وحلمها وحبيبها دون مراعاة للزمن، المسافة أو المنفى القسري.أما الرموز الفنية العميقة التي يشكلها الشاعر ويخترعها ويوظفها لتجسيد حالة ذهنية أو واقع ينسجها في بنى قصيدته، فهي كثيرة في أشعار درويش في المرحلة المتأخرة... ولعل القصيدة وتجسد "بيروت" العديد من الصور الشعرية الرمزية التي يبدعها الشاعر في سياقات القصيدة وإيحاءاتها.

يقول في مطلع قصيدته "بيروت" [31] :

"تفاحة للبحر, نرجسة الرخام
فراشة فجرية, بيروت, شكل الروح في المرأة
وصف المرأة الأولى, ورائحة الغمام
بيروت من تعب ومن ذهب واندلس وشام
فضة, زبد, وصايا الأرض في ريش الحمام
وفاة سنبلة تشرد نجمة بيني وبين حبيبتي بيروت
لم أسمع دمي من قبل ينطلق باسم عاشقة
تنام على دمي...
وتنام..."

القصيدة مليئة بالإشارات والرموز والإيماءات التي لا يتبين معانيها بسهولة أو من القراءة الأولى؛ بل يتطلب وقفة طويلة، وتحليلاً عميقاً، واستحضار المعجم الفني للشاعر، ومتابعة لسياقات القصيدة وصورها المترابطة من أول القصيدة إلى نهايتها؛ باختصار الشاعر الذي يرسم صورة بيروت بعد الاجتياح الإسرائيلي لها وبعد تدميرها بعد أن طرد منها وطردت المقاومة منها بالقوة، ليبحث عن منفى جديد، يستحضر هذه الصور التعبيرية المؤلمة لبيروت؛ صراع بين الفناء والبقاع، صراع الحب، صراع الحياة والموت، وصور التفاحة والنرجس والفراشة والحمامة والسنبلة... كلها رموز لبقاء الحب للحياة... ويلتقي بها أو يتربص بها؛ صور البحر والصخر والرخام والتعب والزبد والتشرد والدم.. كلها رموز الفناء...الكراهية...الموت؛ يرسم درويش صورة المواجهة، ويدخل فينا هذا البيان الشرس في القصيدة رمز البيان الواقعي "بين رموز الموت ورموز

الحياة".هذه الحرب تربكه... تمزق أطرافه وأعصابه وعقله؛ بيروت (الوطن... الملجأ... الحبيبة... فلسطين المقاومة... الأحلام... النصر... الجميع الآن يغرقون في اختبار صعب)، (بيروت خيمتنا الأخيرة) يقول، "أيستمر هذا الرحيل من خيمة إلى أخرى.. ومن منفى آخر, أيدفعني العدو والصديق إلى بحر لا نهاية له لإقناعي أني (أدافع عن هواء ليس لي)" هذا الهواء في سماء الأرض العربية كلها كان لي دائما ، أتنفسه، وأحميه، وأدافع عنه. هل سيتحول الوطن إلى... ماء؟ .. الموج.. إلى رغوة يذهب (العمق) أهو الملجأ.. أم (الميناء.. هو القاتل).أتأتي الطعنة من الأمام، ثم من الخلف.. من البحر، ثم من الميناء الذي نسير إليه لنصل إلى الشاطئ الآمن.هذا الضجيج العالي في أعماق الشاعر، الذي كان يمزقه ويؤلم قلبه، تجسد في ثنايا قصيدة "بيروت".وكأنها رحلة شائكة في أعماق النفس، ترمز إلى رحلة مفجعة على أرض الواقع بعد تدمير بيروت والبحث عن منفى جديد... ليدمر من جديد... وهكذا إلى ما لا نهاية . إن البحث في رموز قصيدة "بيروت" المميزة والدقيقة والمكثفة قد يحتاج إلى عشرات الصفحات لبلورتها وتحليلها وكشفها. وفيه جوانب من الإبداع، وهذا ليس مجالنا هنا.

الخاتمة:

يعد استخدام الرمزية في الشعر الحديث سمة مشتركة بين أغلب الشعراء على اختلاف مستوياتهم، من الرمز البسيط إلى الرمز العميق إلى الرمز الأعمق. وهكذا، فرغم أن الترميز أو الرمز في الأدب بشكل عام هو سمة أسلوبية وأحد العناصر الأساسية للنص الأدبي منذ القدم، إلا أننا نرى أنه تنوع وتعمق وهيمنت لغة القصيدة الحديثة بصورها وتراكيبها وبنياتها المتنوعة، وأصبح الرمز بكل أشكاله البلاغية والمجازية والإيحائية تعميقا للمعنى الشعري، ومصدرا للدهشة والتأثير، وتجسيدا للجماليات من التكوين الشعري؛ وإذا تم توظيف الرمز بشكل جمالي متناغم، وبتماسك فكري يساهم في تعزيز شعرية القصيدة، وعمق دلالاتها، وشدة تأثيرها على المتلقي.خلق شعراؤنا من رموز أسطورية وتاريخية وثقافية معينة..إلخ..صوراً فنية مهمة أغنت نصوصهم الشعرية وعمقتها جمالياً فكرياً؛ .وتميزت أشعار محمود درويش في مجموعاته الأخيرة بتوظيف مختلف الرموز بطريقة مكثفة وعميقة وإيحائية، حيث ارتقت القصيدة العربية الحديثة إلى مستويات الابتكار والإبداع المتطورة، توازي أعظم الشعر العالمي في القرن العشرين. وفي ضوء ما سبق، تأكد لنا الدور البارز الذي تلعبه الصورة الرمزية الطبيعية في النص الشعري الدرويشي، بما تسمح به من تأويلات وما تزخر به من إمكانيات. وهكذا تولد النصوص من رحم خيال الشاعر، حيث تتقاطع القصص وتتداخل وتتشابك لتنتج دلالات جديدة تقوم على معاناة الشاعر المزدوجة، معاناته مع تجربته الخاصة، كذات مبدعة تبحث عن الجديد. والسعي إلى التفوق.

المصادر والمراجع :

- الصومعة والشرفة الحمراء، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- فن الشعر، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٤، ١٩٨٧م.
- Nadia Julien: Dictionnaire Marabout des symbols End Marabout Blegique: 278
- حيدر توفيق بيضون (١٩٩١) ، محمود درويش – شاعر الأرض المحتلة – جزء – ٩٢ / سلسلة أعلام الأدباء، بيروت: الكتب العلمية.
- درويش: حبيبتي تنهض من نومها . المجلد الاول . دار العودة . بيروت . الطبعه ١٤ . ١٩٩٤ .
- شاكر النابلسي: مجنون التراب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ط١ . ١٩٨٧ .
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.
- الصومعة والشرفة الحمراء، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- عادل الأسطة ، خواطر حول الغموض في أشعار محمود درويش ، جريدة الأيام (رام الله) ١٩٩٦/١٢/١٩ .
- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ظواهره وقضاياه الفنية والمعنوية . دار العودة . بيروت ١٩٧٢م .
- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، دار العودة، دار الثقافة، بيروت. ١٩٨١
- عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، كمال احمد غنيم منشورات ناظرين مطبعة ستارة،ط١، ٢٠٠٤ .
- عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ،كمال احمد غنيم،منشورات ناظرين،مطبعة ستارة،ط١، ٢٠٠٤ .
- فن الشعر، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٤، ١٩٨٧م.
- م. درويش: حبيبتي تنهض من نومها . المجلد الاول . دار العودة . بيروت . الطبعه ١٤ . ١٩٩٤ .
- م. درويش: حصار لمدائح البحر . المجلد ٢ . دار العودة . بيروت . الطبعة الأولي . ١٩٩٤ .
- محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ط١ / ١٩٨٤م

-محمد فؤاد سلطان (الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش) ، العدد الأول ، يناير, ٢٠١٠ ، مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية.

-محمود درويش ، لماذا تركت الحصان وحيداً ، لندن ، ١٩٩٥.

- محمود درويش: لماذا تركت الحصان وحيدا . رياض الريس . لندن/ بيروت . الطبعة ٢ . ١٩٩٦

-محمود درويش، شيء عن الوطن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩١٧

-وزارة البحث العالى والبحث العلمى -الجمهورية الجزائرية الديمقراطية - جامعة المسيلة - كلية الآداب واللغات - قسم اللغة العربية وآدابها - مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر بعنوان :الرمز التاريخى فى شعر أمل دنقل-اعداد الطالبة هاجر طيبى - إشراف الدكتور عبد المالك ضيف العام الدراسى ٢٠١٢/٢٠١٣

هوامش البحث

(1) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر بعنوان :الرمز التاريخى فى شعر أمل دنقل-- إشراف الدكتور عبد المالك ضيف العام الدراسى ٢٠١٢/٢٠١٣

(٢) .حيدر توفيق بيضون (١٩٩١) ، محمود درويش - شاعر الأرض المحتلة - جزء - ٩٢ / ، بيروت: الكتب العلمية، صفحة ١١،١٦.

(٣) محمد فؤاد سلطان (الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش) ، ، يناير, ٢٠١٠ جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية.

(٤) محمد فؤاد سلطان (الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش) ،, ٢٠١٠ ، مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية.

(١) فن الشعر، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط٤، ١٩٨٧م: ٢٣٨ .

(٢) الصومعة والشرفة الحمراء، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م: ١٦٧ .

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م: ١٩٩ .

(٢) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ٢٠٠ .

(٣) عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، كمال احمد غنيم منشورات ناظرين مطبعة ستارة،ط١، ٢٠٠٤: ١٤٤ .

(١٠) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ظواهره وقضاياه الفنية والمعنوية - دار العودة - بيروت ١٩٧٢م - ص: (١٩٨).

(11) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ظواهره وقضاياه الفنية والمعنوية . دار العودة . بيروت ١٩٧٢م . ص.(198)

(12) م. درويش: حبيبتي تنهض من نومها . المجلد الاول . دار العودة . بيروت . الطبعه ١٤ . ١٩٩٤ . ص.(430)

(13) م. درويش: محاولة رقم ٧ . المجلد ١ . ص: (٤٧٣ . ٤٧٤).

(14) محمود درويش: محاولة رقم ٧ . المجلد ١ . ص .(482)

(15) م. درويش: حصار لمدائح البحر . المجلد ٢ . دار العودة . بيروت . الطبعة الأولي . ١٩٩٤ . ص.(158)

(16) محمود درويش: هي اغنية... هي أغنية . المجلد ٢ . ص .(237)

(17) محمود درويش: المرجع السابق . ص.(293)

(18) محمود درويش: أعراس . المجلد ١ . ص .(615)

(19) شاكر النابلسي: مجنون التراب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ط١ . ١٩٨٧ . ص.(276)

(20) Nadia Julien: Dictionnaire Marabout des symbols End Marabout Blegique: 278

(21) محمود درويش: هي أغنية.... اغنية المجلد ٢ . ص.(255)

(22) محمود درويش: أعراس . المجلد ١ . ص .(592)

(23) محمود درويش: لماذا تركت الحصان وحيدا . رياض الريس . لندن/ بيروت . الطبعة ٢ . ١٩٩٦ . ص .(107)

(24) محمود درويش: لماذا تركت الحصان وحيدا . ص .(69)

(25) محمود درويش: لماذا تركت الحصان وحيدا . ص.(70)

(26) محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ط١ / ١٩٨٤م ، ص٣

(27) محمود درويش: لماذا تركت الحصان وحيدا . رياض الريس . لندن/ بيروت . الطبعة ٢ . ١٩٩٦ . ص .(107)

([28]) محمود درويش: ديوان (أحد عشر كوكباً) ١٩٩٣

([29]) محمود درويش: ديوان (أحد عشر كوكباً) ١٩٩٣

([30]) محمود درويش: حصار لمدائح البحر ص ٢٢١

([31]) محمود درويش: حصار لمدائح البحر ص ٢٢١-٢٢٢

Sources and references:

-The Silo and the Red Balcony, Nazik al-Malaika, Dar al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 2nd edition, 1979 AD.

-The Art of Poetry, Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 4th edition, 1987 AD.

-Nadia Julien: Dictionnaire Marabout des symbols End Marabout Blegique: 278

-Haider Tawfiq Baydoun (1991), Mahmoud Darwish - Poet of the Occupied Territory - Part - 92 / Illuminations of Writers Series, Beirut: Scientific Books.

-Darwish: My Beloved Awakens from Her Sleep - Volume One - Dar Al Awda - Beirut - Edition 14 - 1994-

-Shaker Al-Nabulsi: Crazy of the Soil - Arab Foundation for Studies and Publishing - Beirut - 1st edition 1987 -

-Contemporary Arabic poetry: its issues and artistic and moral phenomena, Dr. Izz al-Din Ismail, Dar al-Awda, Beirut, 3rd edition, 1981 AD.

-The Silo and the Red Balcony, Nazik al-Malaika, Dar al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 2nd edition, 1979 AD.

-Adel Al-Osta, Thoughts on Ambiguity in Mahmoud Darwish's Poetry, Al-Ayyam Newspaper (Ramallah) 12/19/1996.

-Izz al-Din Ismail: Contemporary Arabic poetry, its phenomena and artistic and moral issues - Dar Al-Awda - Beirut 1972-

-Izz al-Din Ismail, Contemporary Arabic Poetry, third edition, Dar al-Awda, House of Culture, Beirut. 1981

-Elements of artistic creativity in the poetry of Ahmed Matar, Kamal Ahmed Ghoneim, Nazrin Publications, Stara Press, 1st edition, 2004.

-Elements of artistic creativity in the poetry of Ahmed Matar, Kamal Ahmed Ghoneim, Nazrin Publications, Stara Press, 1st edition, 2004.

-The Art of Poetry, Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 4th edition, 1987 AD.

- M. Darwish: My Beloved Awakens from Her Sleep - Volume One - Dar Al Awda - Beirut - Edition 14 - 1994-

- M. Darwish: A Siege of Praises of the Sea - Volume 2 - Dar Al-Awda - Beirut - First Edition - 1994-

-Muhammad Fattouh Ahmed: Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry, Dar Al-Maaref, 1st edition, 1984 AD.

-Muhammad Fouad Sultan (Historical, religious and mythological symbols in the poetry of Mahmoud Darwish), first issue, January, 2010, Al-Aqsa University Journal for Human Sciences.

-Mahmoud Darwish, Why Did You Leave the Horse Alone, London, 1995.

-Mahmoud Darwish: Why did you leave the horse alone - Riyad Al-Rayes - London / Beirut - 2nd edition - 1996

-Mahmoud Darwish, Something About the Homeland, first edition, Dar Al-Awda, Beirut, 1917

-Ministry of Higher Research and Scientific Research - Democratic Republic of Algeria - University of M'sila - Faculty of Arts and Languages - Department of Arabic Language and Literature - A memorandum submitted for obtaining a master's degree entitled: The historical symbol in the poetry of Amal Dunqul - prepared by student Hajar Tibi - supervised by Dr. Abdel Malik Dhaif, academic year 2012 /2013